كلية : الاداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الاولى

أستاذ المادة : أ.م.د علاء مطر تايه

اسم المادة باللغة العربية: منهج البحث التاريخي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Historical research method

اسم المحاضرة السابعة باللغة العربية: فوائد أخرى لدراسة التاريخ

اسم المحاضرة السابعة باللغة الإنكليزية : Other benefits of studying history

ولكن هل هذه هي كل فوائد التاريخ فحسب؟ الواقع اننا وكما يرى مؤرخنا العراقي فاضل جابر يمكن ان نستفيد من التاريخ في مجالات شتى، ولا سيما في حياتنا في الوقت الحاضر.

ـ فدراسة الماضي لا يمكن ان تنفصل عن حاضر الانسان وما يتطلع اليه، فهو لهذا يمكن ان يفيد في اتخاذ العبر وتدبر شؤون الحاضر والمستقبل. ولا يجوز الاعتذار بالمثل السائر " التاريخ لا يعيد نفسه ابدا" للقول بعدم الاستفادة من التاريخ ، فهو فعلا لا يعيد نفسه بتفصيلاته الدقيقة، ولكن هذا لا ينفي وجود ظروف مشابهه تؤدي الى نتائج متشابهة يمكن الاستفادة منها لتقديم شيء من الارشاد المفيد نحو المستقبل، فالتاريخ بهذا المفهوم يمكن ان يزود الفرد بفرصة للاستفادة من عثرات وهفوات الاخرين، لأنه تجربة عالمية اوسع واكثر اختلافا من اي تجربة شخصية.

ـ واذا ما التفتنا الى الجانب الوطني ودور التاريخ في التوعية القومية، نرى ان دراسته وقراءته تقوي اعتزاز الوطن بتاريخ شعبه وامانته وفي هذا الحال يكون التاريخ مصدرا الهام رئيسي لعمل الانسان وابداعه وتضحياته ويدفعه للانتصار للخير ومناهضة الشر.

ـ ترسيخ الوحدة الوطنية إذ يمكن ان يستخدم التاريخ اذا ما احسنت دراسته وتدريسه اداة لتعميق وترسيخ الوحدة الوطنية وما يحتوي من امثلة، كما يمكن ان يعد وسيلة للنضال ضد القوى المعادية للامة. ومن هنا، فان الدراسة العالمية الشاملة لتاريخنا مهمة جدا، لأنها تمكننا من الاطلاع على ماضينا وتدبره بشكل جاد، لأنها ستكون ايضا نبراسا هاديا للأجيال الحاضرة في عملية اعادة استكشاف الماضي، واعادة تقويمه بشكل يتحول معه هذا الماضي، والتراث بعامة الى قوة خلاة في حاضرنا لان الحاضر لا ينفصل عن الماضي، كما ان الماضي لا ينفصل

عن المستقبل ، فنحن نحتاج الى التاريخ في هذا الوقت الذي امست فيه امانتنا العربية مهددة بأخطار جسمية من قبل اعداء مختلفين يحاولون طمس معالم حضرتها، والحد من تطورها وتقدمها. وهذه الاخطار لا يمكن معالجتها معالجة صحيحة حاسمة تزيح كابوس الخطر، الا بالنفاذ الى جذورها العميقة، وادراك الاسباب الاصلية الفاعلة التي تؤججها. ومن هنا ، فأن اي مقاومة لها الاخطار ومحاولة صدها يجب ان تستند الى معرفة تاريخية شاملة المدى بعيدة الغور للماضي الذي كانت عليه الامة ، لذلك لاستلهام الدروس العميقة والعادلة من التراث ، التي تساعدنا اولا في التعبير عن مصلحة الامة وروحها، ونزعتها في الثروة والتطوير والبناء الاجتماعي، ومن ثم في تعبئة الجهود لمقاومة كل ما من شأنه المساس بكيان هذه الامة وحدتها وانجازاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ـ والتاريخ يساعد ايضا على تكوين حوافز وقيم لدى الناشئة من ابناءنا بما يبثه فيهم من توعية قومية تجعلهم يحطون احاطة تامة بتاريخ امتهم . ويعتزون بتراثها الحضاري والانساني ويدركون فضله وكيفية الافادة منه. وكما ان هذه التوعية تساهم في الاحاطة بالواقع الراهن للوطن العربي ومجابهته للتحديات الاستعمارية والصهيونية، وتثير فيهم الشعور بالمسؤولية التاريخية ازاء الاهداف الكبرى لامتنا وكيفية النضال من اجل تحقيقها وادراك الرابطة المصيرية بين كفاح الامة العربية وكفاح الشعوب الاخرى من اجل التقدم والتحرر، وبهذه التوعية القومية يمكن اعداد المواطن ليحيا في حاضر متطور نحو مستقبل لا بد من ان يكون افضل من الحاضر. وهذه الوظيفة القومية للتاريخ كما يراها احد المؤرخين المحدثين ، وهي وظيفة لا يمكن ان يؤديها اي علم من العلوم الانسانية الاخرى غير التاريخ .

ـ فائدة اخلاقية: ويمكن ان يفيد التاريخ ايضا من الناحية الاخلاقية في توسيع مدارك الناس وتعويدهم على الانصاف في الحكم، ووضع الاشخاص والحوادث في وضعها الصحيح على مسرح الشؤون العامة ، وهناك من يرى ان الفائدة الاخلاقية هي الاكثر اهمية مما تجعل للتاريخ

قيمة من حيث التربية ، وان دراسة التاريخ دون سواها هي اصلح الدراسات لتعويد الانسان الفضائل الخاصة والعامة، لأنها توسع افق العقل، وترفع مستوى الاخلاق، بإيقافها الطالب على كل ما هو عظيم سام .

ـ معرفة شخصية وقيمة الفرد: ان التاريخ عند (امرسن) كما ينقل عنه هرنشو ، أنه أعلى من ذلك واسمى، فهو يرى ان ثم تماثلا تاما بين حياة الفرد وتاريخ الانسانية، هي العالم الاكبر ومن ثم يستطيع الفرد عن طريق دراسة التاريخ ان ينفذ الى اسرار شخصيته المحجوبة عنه، ان الكل يتضمن الجزء، والجزء يدل على الكل والتاريخ كله مضمن في العقل الفرد، وخلق كل وافرد ومصيره واضحان في التاريخ .

ـ فائدة المتعة: وهناك ايضا فائدة المتعة في التاريخ، وكذلك بما خلفه السلف في مختلف ارجاء العالم من دور وقصور ومعابد وتماثيل واطلال وآثار تثير في النفوس اعمق المشاعر وفي الاذهان اروع الافكار، ناهيك بالقصص في التاريخ، حيث نجد الواقعة اغرب من الخيال، سواء أكانت ذلك فيما شهدته الاجيال من حياة البذخ والترف، ام بؤس الفاقة والحرمان وما قام به بنو الانسان من حروب وفضائح تقشعر لها الابدان، ام ما بدر منهم احيانا من خدمات في سبيل الخير تطفح.

والى ناحية المتعة هذا كرَس راوس الباب الثاني من كتابه الذي اسماه بـ((مباهج التاريخ)) ولن نستطرد في استعراض ما ورد فب هذا الباب ويكفي ان نتذكر ان القصص في التاريخ ممتع عادة ، وقد يبلغ الذروة في التأثير في النفس تبعا لطبيعة الموضوع وبلاغة التعبير، ولا ننس ان المتعة الحقيقية في التاريخ تجعل الموضوع في مصاف اسمى روائع الادب هذا الى جانب العبر الاخلاقية المهمة التي اشرنا اليها. فالتاريخ يدلنا مثلا على ان عواقب الغرور والجشع وخيمة، ويوحي الينا ان الجزائر العربية قد تكون اعظم شأنا من فرنسا الاستعمارية التي لم تفلح في

مقاومة نضال الشعب الجزائري وثورته من اجل الحرية والاستقلال على الرغم من امكانيتها العسكرية الضخمة .

ـ واخيرا، فان التاريخ يعد من اهم مقومات الشخصية الوطنية والقومية، لان الفهم الصحيح له يعين على بنائها ووقايتها من الذوبان ومن الامراض النفسية التي تعترضها (فكما ان الانسان يحتاج الى ذاكرة فهو يحتاج الى تاريخ لان التاريخ هو ذاكرته القومية)، واذا ما فقد الانسان ذاكرته لسبب من الاسباب فانه يصاب باضطراب يؤدي الى اختلال توازن العقلية والنفسية، كذلك الامم والشعوب تمرض وتضطرب الى ما ضاع تاريخها او دخل عليه شيء من التشويش والتشويه. فالتاريخ مدرسة نتعلم من خلالها الاطوار التي مرت بها الامة على طريق التكوين والنضج. وهي مدرسة تعيننا على ان ندرك ذاتيتنا، وان نخرج ذلك الادراك من حيز التصور الغامض الى حيز الشعور الواضح البين، وقد عبر محمد الطالبي عن هذا المعنى خير التعبير بقوله:

((خذ لك مثلا من نفسك. انت عربي، ندرك انك عربي لا بحكم الرقعة التي تحتلها من ارض الله، بل لأنك ذاتية خاصة تميزك عن غيرك من اهل البلاد الاخرى، لأنك تعرف وجهك فيما يحيط بك، لأنك تحس ان هناك سببا يربط بينك وبين من سبقك على سطح هذا الوطن من الاجيال المتتابعة، ان ذلك السبب هو سبب التاريخ، فلو خصمت هذا السبب لأضعفت قاعدة ذاتيتك، كما انك اذا سبرت اعماق تاريخك، وتصورت تصورا واضحا جليا نوع الروابط التي تربط بينك وبين غبر ودثر من بني جلدتك، تمكنت من تعزيز ذاتيتك، كما تتمكن ايضا من شذبها اذا ما احتاجت الى شذب وتهذيب...)).